في النظرية العلمية

في الدعاية والتحريك

لينين يخطب

الداعية والمحرك

كسب الجماهير

التثقيف السياسي للجماهير

العمل بين النساء

ضرورة الجريدة

القيادة شعارات وديالكتيك

لغة الدعاية والتحريك

الطبعة الأولى

دار ابن سينا



في
الدعاية والتحريك

لينين يخطب
الداعية والمحرك
كسب الجماهير
التثقيف السياسي للجماهير
العمل الشيوعي بين النساء
ضرورة الجريدة
القيادة . شعارات وديالكتيك
لغة الدعاية والتحريك

الطبعة الأولى

دار ابن سينا

لينين يخطب

★

التقيت بلينين لأول مرة ، في كانون الاول عام ١٩٠٥ في كونفرنس عقـده البلاشفة في تامرفورس (من فنلندة) ، كنت اتلهف الى رؤية النسر الجبلي لحزبنا ، ذلك الرجـــل العظيم – العظيم لا من الناحية السياسية وحدها بل من الناحية الجسمية ايضاً ، اذا شئتم – فقد كانت مخيلتي تصوّر لي لينين عملاقاً ، متين البنية ، مهيب الطلعـة ، فتصوّروا خيبة أملي عنـدما رأيتني أمام انسان اعتيادي ، طوله دون المتوسط ، لا يمكن تمييزه بأي وجه من الوجوه ، نعم بأي وجـه من الوجوه عن سائر ابناء البشر .

ليس غريباً ان يحضر « الرجل العظيم » الاجتماعات متأخراً ، وذلك كي ينتظر بقيـة المجتمعين مقدمه على أحرّ من الجمر ، حتى اذا ما ظهر ، هتف الجميع : « هس .. هه .. انه قادم » ، ولم اكن ممن يحبذون الاستغناء عن هذا التقليد ، فهو يؤثر في الناس ويوحي لهم بالاحترام . ولكن تصوّروا خيبة أملي

عندما علمت ان لينين قد سبق المندوبين الى حضور الاجتماع ، وانه قد انتحى زاوية وانهمك في حديث اعتيادي راح يتجاذب اطرافه مع المندوبين الاعتياديين الى الكونفرنس . ولا اكتمكم اني رأيت ذلك ، في حينه ، خروجاً على بعض الاصول المرعية .

ولم ادرك إلا فيما بعد ان هذه البساطة والتواضع ، هذا السعي لأخفاء النفس او عدم ابرازها على الأقل ، وعدم التباهي بالمركز السامي ، ان هذا كله كان من اقوى خصال لينين بوصفه قائداً جديداً لجماهير جديدة ، كسائر الجماهير العادية ، قائد « البسطاء » الناس بالذات .

كان الخطابان اللذان القاهما لينين في هذا الكونفرنس ، عن الوضع الراهن والمسألة الزراعية ، من الخطابات الرائعة ، ولكن مع الاسف لم يحتفظ بنسخة منهما . كانا خطابين عبقريين أثارا عاصفة من الحماسة عند جميع حضور الكونفرنس . قدرة على الاقناع خارقة ، بساطة الحجة ووضوحها ، جُمَل قصار يفهمها الجميع لا وقفات متكلفة ، لا حركات خطابية عنيفة ولا عبارات طنانة ، تستهدف التأثير على المستمعين . لهذا كله امتازت خطابات لينين على خطابات « البرلمانيين » العاديين .

ولكن ليست هذه الناحية من خطابات لينين هي التي اسرتني وقتذاك ، بل اسرتني قوة منطقه التي لا تقهر ، هذا المنطق الذي خلب لب المستمعين ، رغم ما فيه من جفاف ،

وكهربهم شيئاً فشيئاً الى ان امرهم جسما وروحاً ، كما يقولون ، لا زلت اذكر قول كثير من المندوبين : « ما أشبه منطق لينين في خطاباته بأيدٍ وهمية جبارة تطبق على المرء فيستحيل عليه التخلص من قبضاتها ، اما الاستسلام واما الأبادة التامة » .

واعتقد ان هذه السمة الخاصة في خطابات لينين هي اقوى جوانب فنه الخطابي .

« ستالين : عن لينين »

***

ينهض لينين للكلام . خطبة هي آية من آيات البلاغة . لا اثر لصناعة لفظية ، بل رجاحة الفكر النيّر ، ومنطق الحجة الدامغ ، لا ميل ولا التواء بل قدماً الى الأمام . وكجلاميد الصخر ، تنهال جمل لينين وتنصهر في قالب واحد . ان لينين لا يريد ان يذهل او يسحر ، كل ما يريده هو ان يقنع . لكنه يقنع ويسحر . لا بكلمات عذبة رنانة تنفث السحر ، بل بروحه الوضاءة التي تدرك ، دون ان تخادع نفسها ، عالم الظواهر الاجتماعية على حقيقته ، و « تفصح » عنه بواقعية قاسية . وكما يلسع السوط ، كما تهوي الهراوة ، وقعت كلمات لينين على من « جعلوا تصيّد اليمينيين رياضتهم المحببة » ، جاهلين الطريق الذي يوصلنا الى النصر ، « لن نحرز النصر حقاً إلا اذا كسبنا الى جانبنا في النضال اكثرية الطبقة العاملة ،

وليس اكثرية العمال وحسب ، بل اكثرية المستغلين والمظلومين » .

يحس الجميع ان الضربة القاضية قد نزلت . وعندما صافحت لينين متحمسة لم اتمالك نفسي فقلت : « هل تعلم يا لينين ان من يقوم خطيباً ، حتى في ابسط الاجتماعات ، يخجل من التحدث بمثل البساطة والوضوح اللذين تتحدث بهما . فهو يخشى ان لا يبدو على قدر كافٍ من « الثقافة » . انا لا اعرف إلا نظيراً واحداً لطريقتك في الخطابة ، هو تولوستوي ذو الفن العظيم . ان لك ، مثله ، ذلك النهج الواسع ، المنسجم ، الثابت ، ذلك الاحساس بالحقيقة الصلدة . يا للجمال ! هل هذه ميزة سلافية خاصة ؟ » .

فأجابني لينين : « لا ادري . كل ما ادريه هو انني عندما « اصبحت خطيباً » كنت افكر دائماً بالعمال والفلاحين اكثر مما افكر بمستمعيّ . حينما يخطب الشيوعي ، يجب ان يفكر بالجماهير ، يجب ان يخطب لهم » .

« كلارا زيفكين : ذكريات عن لينين »

الداعية والمحرّك

★

على الداعية ، الذي يبحث مشكلة البطالة ، مثلاً ، ان يشرح الطبيعة الرأسمالية للأزمات ، اسباب حتمية الأزمات في المجتمع الحديث ، عليه ان يوضح كيف ان المجتمع الراهن لا بد أن يتحول الى مجتمع اشتراكي ، الى آخر ذلك . عليه باختصار ان يعرض «أفكاراً عديدة» ، عديدة والحق يقال ، بحيث لن يقدر على فهمها كلها إلا عدد قليل (نسبياً) من الأشخاص .

أما المحرك الذي يتحدث عن الموضوع نفسه فيتناول للايضاح حقيقة بارزة واسعة الانتشار بين مستمعيه ، كأن يقص لهم كيف ماتت من الجوع عائلة أحد العمال العاطلين ، أو كيف يتفاقم الفقر ، الى غير ذلك ، وهو يستفيد من هذه الحقيقة المعروفة للعام والخاص من أجل ان يركز كل جهوده على عرض فكرة واحدة أمام «الجماهير» هي فكرة التناقض غير المعقول بين تراكم الثروة وتراكم الفاقة ؛ ويسعى الى إثارة التذمر والسخط بين الجماهير على هذا الظلم الصارخ ، ويترك

للداعية أمر شرح هذا التناقض شرحاً أتم .

وعلى هذا ، فالداعيـــة يعمل ، بصورة رئيسية ، عن طريق الكتابة ، اما المحرك فيعمل عن طريق الخطـابة . والكفاءات التي ينبغي ان يتحلى بهـا المحرك تختلف عما ينبغي ان يتحلى بها الداعية .

أما اصطناع مجال ثالث ، أو وظيفة ثالثة ، من مجـالات ووظائف النشاط العملي ، وتضمين هذه الوظيفة الثالثة « دعوة الجماهير الى اعمـالٍ معينة ملموسة » فانْ هو إلا هراء فارغ ، لأن « الدعوة » كعمل قائم بذاته ، إما ان تـكمل بصورة طبيعية وحتمية ، بحثاً نظرياً أو كرّاس دعاية أو خطاباً تحريكيـاً ، أو ان تكون وظيفة تنفيذية محضة . لنأخذ ، على سبيل المثال ، النضال الذي يخوضه الاشتراكيون الديمقراطيون الألمانـ ، اليوم ، ضد ضرائب الحبوب . فالنظريون يؤلفون البحوث عن سياسة التعريفة الجمركية و « يدعون » مثـــلًا ، الى النضال في سبيل معاهدات تجارية وحرية التجارة . ويقوم الداعية بالعمل نفسه في الصحافة الدورية ، امـــا المحرك فيقوم به في الخطب العامة . ويتخذ « عمل الجماهـــير » الملموس ، في الوقت الحاضر ، شكل التوقيع على عرائض ترفع الى الريخشستاغ ضد زيادة الضرائب على الحبوب . والدعوة الى هذا العمل تصدر ، مباشرة ، عن النظريين والدعاة والمحركين ، وتصدر ، بصورة غير مباشرة ، عن العمال الذين يحملون العرائض الى المصانع والبيوت ليجمعوا فيها التواقيع .

« لينين : ما العمل ؟ »

كسب الجماهير

★

طالما كانت المسألة (وبقدر ما لا تزال المسألة) ، مسألة كسب طليعة البروليتاريا الى جانب الشيوعية ، الى هذا المدى ، والى هذا الحــد ، احتلت الدعاية المكان الاول : فحتى حلقات الدعاية ، رغم كل ما في الحلقات من نواقص وعيوب ، تفيد في مثل هذه الظروف ، وتثمر عن نتائج طيبة . اما عند ما تصبح المسألة مسألة نشاط الجماهير العملي ، مسألة تعبئة الجيوش الجرارة ، ان صح التعبير ، مسألة اصطفاف جميع القوى الطبقية في مجتمع معلوم للمعركة النهائية والفاصلة ، عند ذاك لا تجري الدعاية وحدها ، لا يجري مجرد ترديد حقائق الشيوعية « النقية » . على المرء في مثل هذه الظروف ان لا يحسب حساب الالف – كما يفعل في الواقع الداعية المنتسب الى فرقة صغيرة لم تقدم على قيادة الجماهير بعد – بل عليه ان يحسب حساب الملايين وعشرات الملايين .

لا يكفي في مثل هــذه الاوقات ، ان يسأل المرء

نفسه عما اذا كانت طليعة الطبقة الثورية قد اقتنعت ، بل عليه ان يتساءل ايضاً عما اذا كانت القوى الفعّالة تاريخياً لجميع الطبقات — أجل ، جميع الطبقات بلا استثناء في مجتمع معلوم — قد اصطفت بشكل جعل المعركة الفاصلة ناضجة كل النضوج بحيث : (١) ان جميع القوى الطبقية المعادية لنا قد ارتبكت بما فيه الكفاية ، وتخاصمت بما فيه الكفاية ، واضعفت نفسها بما فيه الكفاية في صراع يفوق طاقتها ؛ (٢) ان جميع العناصر المتذبذبة ، المترددة ، القلقة ، المتوسطة — البرجوازية الصغيرة وديمقراطيي البرجوازية الصغيرة تمييزاً لهم عن البرجوازية— قد فضحت نفسها امام الشعب بما فيه الكفاية ، وأخزت نفسها بما فيه الكفاية بفضل افلاسها العملي ؛ (٣) ان عاطفة جماهيرية موالية لأحزم عمل ثوري ، جريء بلا تحفظ ، ضد البرجوازية ، قد ظهرت بين البروليتاريا وأخذت تنمو بقوة . عندئذٍ تكون الثورة ناضجة حقاً . عندئذٍ يكون انتصارنا مضموناً حقاً اذا كنا قد سبرنا سبراً صحيحاً غور جميع الشروط الموجزة اعلاه ، واذا كنا قد احكمنا اختيار اللحظة ...

ان التاريخ عموماً ، وتاريخ الثورات خصوصاً ، لهو دائماً اغنى محتوى ، واعظم تنوعاً ، واكثر تعدداً في جوانبه ، واعظم حيوية و « مكراً » ، مما تتصوره خيرة الاحزاب وأوعى الطلائع طبقياً لأرقى الطبقات . وهذا مفهوم ، لأن خيرة الطلائع انما تعبر عن الوعي الطبقي والارادة والعاطفة والخيال لدى عشرات الآلاف ، في حين تُصنع الثورة ، ساعة

ذروتها وساعة اجهاد جميع الملكات البشرية ، بالوعي الطبقي والارادة والعواطف والخيال لدى عشرات الملايين التي يحفزها أحدّ صراع طبقي . ومن هذا نخلص الى استنتاجين عمليين في غاية الأهمية : الاول ، هو انه على الطبقة الثورية ، كي تنجز مهمتها ، ان تتضلع بجميع اشكال النشاط الاجتماعي وجوانبه ، بلا استثناء (وان تتم بعد الاستيلاء على السلطة ، وبالتعرض ، احياناً ، لمهالك جسيمة واخطاء عظيمة جداً ، ما لم تتمه قبل الاستيلاء على السلطة) ؛ والثاني ، هو انه على الطبقة الثورية ان تكون مستعدة للانتقال من شكل الى آخر في غاية السرعة والمفاجأة .

يجمع الكل على ان الجيش الذي لا يدرب نفسه على استعمال جميع الأسلحة ، وجميع وسائل وطرق القتال التي يمتلكها ، او قد يمتلكها ، العدو ، انما يسلك سلوكاً طائشاً ، بل اجراميا ، وهذا يصدق على السياسة اكثر مما يصدق على الحرب . فمن الاصعب ، في السياسة ، ان نتكهن بطرق القتال التي ستطبق وتكون مفيدة لنا في ظروف معينة مقبلة . وما لم نكن قادرين على التضلع بجميع وسائل القتال نكون معرضين لخطر تكبد هزيمة كبرى ، قد تكون هزيمة حاسمة احياناً ، اذا ما ابرزت التبدلات في وضع الطبقات الاخرى ، وهي تبدلات لا نستطيع تحديدها ، اشكالاً من النشاط نحن ضعيفون فيها بوجه خاص . اما اذا كنا قادرين على التضلع

بجميع طرق القتال فان النصر سيكون حليفنا ، بالتأكيد ، لأننا نمثل مصالح الطبقة المتقدمة حقاً ، الثورية حقاً حتى اذا لم تسمح لنا الظروف باستخدام أسلحة أشد خطراً على العدو ، أسلحة أسرع فتكاً .

غالباً ما يظن الثوريون الاغرار ان الطرق الشرعية في النضال طرق انتهازية . لأن البرجوازية كثيراً ما خدعت العمال وغشتهم في هذا الميدان (لا سيما في الاوقات «السلمية» اللاثورية) ، وهم يظنون ان الطرق اللاشرعية في النضال طرق ثورية . ولكن هذا ليس صحيحاً ...

ليس من الصعب ان يكون المرء ثورياً عندما تكون الثورة حامية الوطيس ، بعد ان اندلعت فعلاً ، عندما يلتحق كل امرىء بالثورة لمجرد انجرافه معها ، لمجرد انها «المودة» ، بل واحياناً حتى لأنها قد تفتح امامه طريق التقدم الوصولي . وعلى البروليتاريا ، بعد الانتصار ، ان تبذل اقصى الجهود ، عليها ان تكابد الألم ، بل يمكن ان نقول الاستشهاد ، لكي «تحرر» نفسها من أمثال هؤلاء الثوريين الهزيلين . من الأصعب كثيراً — والأنفع كثيراً — ان يكون المرء ثورياً عندما لا تكون قد وجدت بعد الشروط لنضال مباشر مكشوف ، جماهيري حقاً وثوري حقاً ، ان يكون قادراً على الدفاع عن مصالح الثورة (بالدعاية والتحريك والتنظيم) في هيئات لاثورية بل وحتى في هيئات صريحة في

رجعيتها ، في ظروف لاثورية ، بين الجماهير العاجزة عن ان تقدّر فوراً ضرورة أساليب العمل الثورية . ان المهمة الرئيسية أمام الشيوعية المعاصرة في غربي اوروبا واميركا هي ان تكتسب القدرة على ان تبحث ، وتكتشف ، وتقرر بصواب الدرب الملموس او المجرى الخاص في الحوادث ، الذي من شأنه ان يجلب الجماهير الى صميم النضال الثوري الحقيقي ، الحاسم ، الاخير .

على الشيوعيين في انكلترا ، ان يستفيدوا ، بلا انقطاع وبلا تردد وبلا انحراف ، من الانتخابات البرلمانية ومن كل تقلبات السياسة الامبريالية التي تنهجها الحكومة البريطانية تجاه ارلندة والمستعمرات وعلى النطاق العالمي ، ومن سائر جوانب الحياة الاجتماعية ، وان يعملوا في جميعها بطريقة جديدة ، بطريقة شيوعية ، بروح الأممية الثالثة لا الثانيــة . ان ضيق الوقت والمكان لا يسمح لي هنـا بوصف طرق الاشتراك « الروسي » « البلشفي » في الانتخابات النيابيــة وفي النضال البرلماني ، ولكني استطيع ان أؤكد للشيوعيين الأجانب بأن هذا كان يختلف كل الاختلاف عن الحملة البرلمانية المعتادة في غربي أوروبا . وكثيراً ما يخلص البعض من هذا الى الاستنتاج التالي : (حسناً ، لقد وقع ذلك في الروسيا ، اما في قطرنا فالبرلمانية شيء آخر) . وهذا الاستنتاج خاطىء . فما وجد الشيوعيون في العالم ، انصار الأممية الثالثة في كافة الاقطار ، إلاّ لكي يبدلوا على طول الخط ، في كافة مجالات الحياة ،

العمل البرلماني السنديكالي ، النقابي الحرفي ، الاشتراكي القديم ، الى عمل شيوعي جديد . وفي روسيا كذلك ، كان لدينا قدر كبير جداً من المتاجرة الانتهازية والبرجوازية الصرفة ومن الاحتيال الراسمالي اثناء الانتخابات .

ينبغي على الشيوعيين في غربي اوربا وامريكا ان يتعلموا خلق برلمانية جديدة ، غير معتادة ، لا انتهازية ولا وصولية ؛ على الاحزاب الشيوعية ان ترفع شعاراتها ، وعلى البروليتاريين الحقيقيين ، بمساعدة أفقر اقسام الشعب غير المنظم ، ان ينبثوا ويوزعوا المناشير ، عليهم ان يطوفوا على دور العمال واكواخ البروليتاريين الريفيين والفلاحين في القرى القاصية (ولحسن الحظ لا يوجد في اوربا قرى قاصية قدر ما يوجد في روسيا ، اما في انكلترا فعددها ضئيل جداً) ، عليهم أن يذهبوا الى أبسط الحانات الشعبية ، ويتغلغلوا داخل النقابات والجمعيات ، والاجتماعات العرضية ، حيث يجتمع عامة الناس ، وعليهم ان يتحدثوا الى الشعب ، لا بلغة علمية (ولا بلغة برلمانية جداً) ، يجب ان لا يسعوا ابداً الى « كسب المقاعد » في البرلمان ، بل الى ان يثيروا في كل مكان افكار الجماهير ويجروها الى النضال ، ان يسجلوا على البرجوازية وعودها ، ان يستغلوا الجهاز الذي نصّبته ، والانتخابات التي دعت اليها ، واقدامها على حل البرلمان واستشارة الشعب ، وان يحدثوا الشعب عن البلشفية بطريقة لم تكن ممكنة (في ظل الحكم البرجوازي) في غير ايام الانتخاب (بصرف النظر طبعاً ، عن ايام الاضرابات الكبيرة ،

حيث كان يعمل في روسيا ، حتى بنشاط اكبر ، جهاز مماثل للتحريك الشعبي الواسع) .

ان القيام بهذا في غربي اوربا واميركا صعب جداً ، انه صعب جداً جداً ؛ ولكن القيام به ممكن وواجب ، لأن مهام الشيوعية لا يمكن انجازها من غير جهد ؛ ويجب ان نبذل كل جهد لانجاز المهام العملية ، التي تزداد تنوعاً ابداً ، والتي تزداد ارتباطاً ابداً بكافة فروع الحياة الاجتماعية ، كاسبين الفرع تلو الفرع ، والمجال تلو المجال ، من البرجوازية .

« لينين : شيوعية الجناح اليساري »

التثقيف السياسي للجماهير

★

ما ان أدرك العمال ان الحلقات الاشتراكية الديمقراطية *
ترغب في تجهيزهم ، وتستطيع تجهيزهم ، بمناشير من نوع جديد ،
تقص الحقيقة كاملة عن حياة الفاقة والعوز التي يحيوها : عن
كدحهم المفرط وحرمانهم من الحقوق ، حتى انهالت الرسائل
من المصانع والورشات وكان « أدب الفضح » يُقرأ ويُناقش
بحماس بالغ ، لا في المصنع الخاص الذي فضح ظروفه منشور
معين ، بل في كافة المصانع التي بلغتها الانباء عن الحقائق
المفضوحة : ولما كان فقر وعوز العمال في مختلف المشاريع
ـ وفي مختلف المهن ـ واحداً الى حد كبير ، فان «الحقيقة عن
حياة العمال » قد أثارت اعجاب الجميع . وقد أثير ، حتى بين

---

* في هذه القطعة ، والقطع الاخرى ، المقتبسة عن (ما العمل ؟) ،
يستخدم لينين ، عام ١٩٠١ - ١٩٠٢ ، كلمة « الاشتراكي الديمقراطي »
بالمدلول الذي نستخدم فيه كلمة « شيوعي » اليوم . ان الحزب الاشتراكي
الديمقراطي الروسي (البلاشفة) قد اتخذ اسم «الشيوعي» عام ١٩١٧ - المعرب.

أكثر العمال تأخراً ، حماس صادق ، لأن« ُينشر عنهم » ، حماس نبيل لهذا الشكل البدائي من الحرب على كامل النظام الاجتماعي الحديث القائم على السرقة والاضطهاد ...

والخلاصة ، ان الفضح الاقتصادي (فضح ما يجري داخل المصنع) كان ، ولا يزال ، أداة هامة من أدوات دفع النضال الاقتصادي ، وسيظل كذلك ما بقيت الرأسمالية التي تولد حاجة العمال الى الدفاع عن انفسهم ، وحتى في أكثر الاقطار الأوروبية تقدماً في يومنا هذا ، بشكل فضح الشرور القائمة في مهنة متأخرة ، أو في فرع منسي من الصناعة المحلية ، نقطة ابتداء لايقاظ الوعي الطبقي والشروع بنضال نقابي ونشر الاشتراكية .

وحتى لوقت قريب ، كانت الاغلبية الساحقة من الاشتراكيين الديمقراطيين الروس منصرفة ، انصرافاً يكاد يكون كلياً ، الى العمل على تنظيم هذا الفضح لظروف المصانع ... والحق ان انصرافهم بلغ حداً جعلهم يغفلون عن واقع ان هذا ، لوحده لا يؤلف في جوهره ، عملاً اشتراكياً ديمقراطياً ، بل عملاً نقابياً ليس إلا . ان هذا الفضح ، بطبيعة الحال ، لم يتناول إلا العلائق القائمة بين العمال في مهنة معينة واصحاب العمل الذين يستخدمونهم مباشرة ، وكل ما حققه هو ان باعة القوة العاملة تعلموا كيف يبيعون « سلعتهم » بشروط أفضل ، وكيف يكافحون ُشراة القوة العاملة في صفقة تجارية بحتة .

ان هـذا الفضح كان يمكن ان يؤلف (فيما لو أحسن

الثوريون الانتفاع منه) بداية للنشاط الاشتراكي الديمقراطي وجزءاً أساسياً منه ، ولكنه كان يمكن ان يؤدي كذلك (وكان لا بد ان يؤدي من جراء الخضوع للتلقائية) الى نضال نقابي « صرف وبسيط » الى حركة عمالية ليست اشتراكية ديمقراطية .

ان الاشتراكيين الديمقراطيين لا يقودون نضال الطبقة العاملة من اجل شروط أفضل لبيع قوتها العاملة فحسب ، بل يقودونه كذلك من اجل القضاء على النظام الاجتماعي الذي يُرغم المعدمين على بيع انفسهم للأغنياء . فالاشتراكية الديمقراطية لا تمثل الطبقة العاملة في علاقاتها بجماعة معينة من اصحاب العمل ، في علاقاتها بجميع طبقات المجتمع الحديث ، في علاقاتها بالدولة كقوة سياسية منظمة . ينتج من هذا ، إذن ، ان على الاشتراكيين الديمقراطيين ان لا يقتصروا على النضال الاقتصادي فقط ، بل واكثر من ذلك ، عليهم ألا يجعلوا تنظيم الفضح الاقتصادي يؤلف الجزء الغالب من نشاطهم . علينا ان نقوم بنشاط على تثقيف الطبقة العاملة سياسياً وعلى تطوير وعيها السياسي ...

وهنا ينشأ السؤال التالي : ما معنى التثقيف السياسي ؟ هل يكفي الاقتصار على الدعاية للعداء القائم بين الطبقة العاملة والاوتوقراطية ؟ كلا ، طبعاً . لا يكفي افهام العمال بانهم مضطهدون سياسياً (كما لم يكفِ افهامهم بان مصالحهم تتناقض ومصالح اصحاب العمل) ، بل يجب الاستفادة من كل مَثَل

ملموس على هذا الاضطهاد لغرض التحريك (بنفس الطريقة التي أخذنا فيها نستخدم الأمثلة الملموسة من الاضطهاد الاقتصادي لغرض التحريك) . وما دام الاضطهاد السياسي يمس طبقات المجتمع كافة ، ما دام يكشف عن نفسه في مختلف مجالات الحياة والنشاط ، في الحياة الصناعية ، في الحياة المدنية ، في الحياة الشخصية والعائلية ، في الحياة الدينية والحياة العلمية ، الخ ، الخ ، أفليس واضحا اننا لن ننجز مهمتنا في تطوير وعي العمال السياسي ما لم نضطلع بتنظيم الفضح السياسي للاوتوقراطية بجميع جوانبها ؟ فلكي نمارس التحريك حول أمثلة ملموسة من الاضطهاد ، ينبغي فضح هذه الامثلة (كما كان من الضروري فضح الشرور القائمة في المصانع من اجل ممارسة التحريك الاقتصادي .)

« لينين : ما العمل ؟ »

لا يمكن « دفع نشاط الجماهير العمالية » الا على شرط ان هذا النشاط لا ينحصر كلياً في « التحريك السياسي على أساس اقتصادي» وان أحد الشروط الاساسية لأحداث توسع ضروري في التحريك السياسي هو القيام بتنظيم فضح سياسي كامل الجوانب وليس هناك من طريقة لتدريب الجماهير على الوعي السياسي والنشاط الثوري غير طريقة القيام بهذا الفضح . لهذا ، فان ممارسة هذا النشاط هي من أهم واجبات الاشتراكية الديمقراطية الاممية باسرها ، اذ حتى وجود الحرية السياسية لا ينفي ضرورة القيام بهذا الفضح ، سوى أنه يبدل اتجاهه ...

ان وعي الطبقة العاملة لا يمكن ان يكون وعياً سياسياً حقاً ما لم يتدرب العمال على الاستجابة لكل حوادث الطغيان والاضطهاد والعنف وغمط الحقوق ، بصرف النظر عن الطبقة التي يمسها ذلك . زد على ذلك ان هذه الاستجابة يجب أن تكون استجابة اشتراكية ديمقراطية ، وليست استجابة من أية وجهة نظر اخرى . ان وعي جماهير العمال لا يمكن ان يكون

وعياً طبقياً حقاً ما لم يتعلم العمال ملاحظة كل الطبقــات الاجتماعية الاخرى ، وجميع مظاهر الحياة الثقافية والاخلاقية والسياسية لهذه الطبقات ، من خلال الوقائع والأحــداث الملموسة ، والملتهبة منها بوجه خاص ، ما لم يتعلموا تطبيق التحليل المادي والتقدير المادي ، عملياً ، على جميع جوانب الحياة والنشاط لجميع طبقات السكان ومراتبه وأقسامه . أما الذين يركزون اهتمام الطبقة العاملة وأنظارها ووعيها في نفسها فقط ، أو حتى في نفسها بالدرجة الرئيسية ، فليسوا اشتراكيين ديمقراطيــين ، لأن الطبقــة العاملة لا تحتاج ، كي تدرك نفسهــا ، الى فهم نظري فقط ... أو قــد يكون من الاصح القول ... انها لا تحتاج الى فهم نظري للعلاقات القائمة بين مختلف الطبقات في المجتمع الحديث ، قـدر حاجتها الى فهم عملي لهذه العلاقات تكتسبه من خبرة الحياة السياسية . ولهذا فالفكرة التي يبشر بها أصحابنا الاقتصاديون ، فكرة ان النضال الاقتصادي ، من بين وسائل جر الجمــاهير الى الحركة السياسية ، هو الوسيلة التي يمكن تطبيقها على أوسع نطاق ، فكرة بالغة الخطورة وبالغة الرجعية في التطبيق .

يجب على العامل ، كي يصبح اشتراكياً ديمقراطيــاً ، ان يكوّن في ذهنه صورة واضحة للطبيعة الاقتصـادية وللسمات الاجتماعيــة والسياسية للملاك ، للقس ، للموظف الحكومي الكبير والفـلاح ، للطالب والمشرد ؛ يجب أن يعرف جوانبهم

القوية والضعيفة ؛ يجب ان يفهم جميع المصطلحات والتعابير السفسطائية التي تخفي وراءها كل طبقة وكل مرتبة ، مآربها الأنانية و « طبيعتها » الحقيقية ؛ يجب ان يفهم المصالح التي تعكسها هذه المؤسسة أو تلك ، وهذا القانون أو ذاك ، وكيف تعكس هذه المصالح . وهذه ، الصورة الواضحة « لا يمكن الحصول عليها من الكتب . لا يمكن الحصول عليها الا من الأمثلة الحيّة ومن فضح ما يجري حوالينا في لحظة معينة ، فضح ما يتحدث عنه ، ربما بالهمس ، كل امرىء بطريقته الخاصة ، فضح ما يعنيه هذا الحدث أو ذاك ، وهذا الاحصاء أو ذاك ، هذا الحكم أو ذاك من أحكام القضاء ، الخ ، الخ ، الخ ، فضح كل ذلك في إبّانه عندما يكون ملتهباً حاراً . ان القيام بهذا الفضح السياسي الشامل شرط ضروري وأساسي لتدريب الجماهير على النشاط الثوري .

لماذا لا يبدي العمال الروس ، لحد الآن ، سوى نشاط ثوري ضئيل تجاه المعاملة الوحشية التي يلقاها الشعب على أيدي الشرطة ، تجاه اضطهاد الطوائف الدينية ، وجلد الفلاحين بالسياط ، والرقابة الفظة ، وتعذيب الجنود ، وقمع المشاريع الثقافية ، حتى أكثرها براءة ، الخ ؟ ألأن « النضال الاقتصادي» لا « يحفزهم » على هذا النشاط ، لان هذا النشاط السياسي لا « يبشر بنتائج محسوسة » ، لأنه لا يثمر إلا عن القليل مما هو ايجابي ؟ كلا . ونكرر القول ان التعلل بهذه الحجة لا

يعني إلا القاء التبعة على عاتق الآخرين ، القاء تبعة جهالتنا على عاتق جماهير العمال ... يجب أن نلوم أنفسنا ، نلوم بُعدنا عن الحركة الجماهيرية ، يجب أن نلوم أنفسنا لعجزنا حتى الآن عن تنظيم فضح واسع وصارخ وسريع ، بدرجة كافية ، لهذه الفظائع الشنعاء ...

« لينين : ما العمل ؟ »

لقد رأينا ان القيام بالتحريك السياسي الواسع ، وبالتالي تنظيم فضح سياسي كامل الجوانب ، مهمة فائقة الاهمية وبالغة الضرورة من بين مهام النشاط ، وذلك اذا أردنا ان يكون ذلك النشاط نشاطاً اشتراكياً ديمقراطياً حقاً . وقد توصلنا الى هذا الاستنتاج على أساس حاجة الطبقـة العاملة الملحـة للمعرفة السياسية والدربة السياسية فقط . ولكن هذا العرض للمسألة عرض ضيق جداً ، لأنه يضرب صفحـاً عن المهـام الديمقراطية العامة للاشتراكية الديمقراطية عموماً ، وللاشتراكية الديمقراطية الروسية الحديثة خصوصاً . ولكي يكون شرحنا لهذه القضية أقرب الى الفهم ، سنتناول الموضوع من طرف هو « أقرب » الى أذهنة الاقتصاديين ، أعني اننا سنتناوله من الطرف العملي « بجمع الـكل » على ان من الضروري تطوير الوعي السياسي لدى الطبقة العاملة ، وهنا ينشأ السؤال التالي: كيف يجب القيام بذلك ؟ ما الذي يجب عمله لتحقيق ذلك ؟ ان النضال الاقتصادي لا يتعدى وضع العمال « وجها لوجه »

أمام المسائل المتعلقة بموقف الحكومة من الطبقة العاملة وبالتالي ، فنحن مهما حاولنا طبع « النضال الاقتصادي نفسه بطابع سياسي » لن نستطيع ابداً تطوير الوعي السياسي لدى العمال (الى مصاف الوعي الاشتراكي الديمقراطي) اذا حصرنا أنفسنا في نطاق النضال الاقتصادي لان حدود هذه المهمة ضيقة جداً.

ان الوعي السياسي الطبقي لا يمكن ايصاله الى العمال الا من الخارج ، أي من خارج النضال الاقتصادي ، خارج مجال العلاقات بين العمال وأصحاب العمل . والمجال الوحيد الذي يمكن الحصول منه على هذه المعرفة هو مجال العلائق القائمة بين مختلف الطبقات والمراتب من جهة والدولة والحكومة من جهة اخرى – مجال العلاقات المتبادلة المتشابكة بين مختلف الطبقات بلا استثناء ولهذا السبب ، فعند الاجابة على السؤال: ما الذي يجب عمله لايصال المعرفة السياسية الى العمال ؟ لا يمكن الاكتفاء بالجواب الذي يكتفي به عادة ، في أغلب الحالات ، المناضلون العمليون لا سيا من ينزع منهم الى الاقتصادية ، وهو « التغلغل بين العمال » . فمن اجل ايصال المعرفة السياسية الى العمال ، على الاشتراكيين الديمقراطيين ان يتغلغلوا بين جميع طبقات السكان ، عليهم ان يبعثوا بوحدات من جيشهم في جميع الاتجاهات ...

خذوا حلقة اشتراكية ديمقراطية من الطراز الذي كان واسع الانتشار جداً في السنوات القلائل الماضية ، وافحصوا عملها . انها تقيم « الصلات مع العمال » وتصدر المناشير –

التي تشجب بقوة الاعتداء على حقوق العمال في المصانع وتحيز الحكومة الى جانب الرأسماليين واستبداد البوليس — وتخلد قانعة بذلك . وفي اجتماعات العمال لاتتعدى المناقشات ابداً ، او قلما تتعدى ، حدود هذه المواضيع . اما المحاضرات والبحوث عن تاريخ الحركة الثورية ، عن مسائل السياسة الداخلية والخارجية التي تسير عليها حكومتنا ، عن مسائل التطور الاقتصادي في روسيا واوربا ، ومواقف الطبقات في المجتمع الحديث ، الخ ، فنادرة للغاية . اما اقامة الصلات المنتظمة مع طبقات المجتمع الاخرى، وتوسيعها ، فمما لم يخطر ببال احد حتى في الحلم . والقائد الامثل ، الذي يتصوره اغلب اعضاء هذه الحلقات ، اشبه بسكرتير نقابي منه بقائد سياسي اشتراكي .

ان اي سكرتير نقابي ، ولنقل سكرتيراً نقابياً انكليزياً على سبيل المثال ، يساعد العمال على ممارسة النضال الاقتصادي ، يساعد على فضح الاعتداء على حقوق العمال في المصانع ، يشرح جور القوانين والتدابير التي تقيد حرية الاضراب وحرية الدفاع عنه والدعاية له (اي تنبيه العام والخاص ان اضرابا قد وقع في المصنع الفلاني) ، يشرح تحيز قضاة محاكم التحكيم الذين ينتسبون الى الطبقات البرجوازية ، الخ ، الخ . والخلاصة ان كل سكرتير نقابي يمارس ، ويساعد على ممارسة ، « النضال الاقتصادي ضد اصحاب العمل والحكومة » ولا يمكن ان نغالي مهما اكدنا على واقع **ان هذا لوحده** لا يؤلف اشتراكية ديمقراطية . فعلى الاشتراكي الديمقراطي ان لايجعل مثَلَهُ الأعلى سكرتيراً نقابيا

بل مدافعاً صادقاً عن مصالح الشعب ، قادراً على الرد على كل مظهر من مظاهر الاستبداد والاضطهاد ، اينما وقع ، وبصرف النظر عن المرتبة او الطبقة الشعبية التي يمسها ذلك ، يجب ان يكون قادراً على جمع كل هذه المظاهر في صورة واحدة تعكس الارهاب البوليسي والاستغلال الرأسمالي ، يجب ان يكون قادراً على الاستفادة من كل حادث بسيط كي يشرح معتقداته الاشتراكية ومطاليبه الاشتراكية الديمقراطية للجميع ، كي يشرح للعام والخاص – المغزى التاريخي – العالمي للنضال من اجل تحرير البروليتاريا ...

« لينين : ما العمل ؟ »

يجب ان نركز اهتمامنا ، **بالدرجة الرئيسية** ، في مهمة رفع العمال الى مستوى الثوريين ، لا الهبوط بأنفسنا الى مستوى « جماهير العمال » كما يريد الاقتصاديون ان يفعلوا ، أو الهبوط بأنفسنا بالضرورة الى مستوى العامل المتوسط ؟ كما تود (سفوبودا) أن تفعل (وهي بهذا ترفع نفسها الى الصف الثاني من مدرسة « علم التربية » الاقتصادية .

اني ابعد من ان انكر ضرورة الادب المبسط للعمال ، والادب المبسط للغاية (لا المبتذل طبعا) للعمال المتأخرين للغاية غير ان مايزعجني هو الخلط باستمرار بين علم التربية ومسائل السياسة والتنظيم . انكم ، ايها السادة ، يامن تبدون كل هذا الاهتمام بـ « العامل المتوسط » انما ، تهينون العمال ، في واقع الحال ، برغبتكم **في النزول والتحدث اليهم** عندما تبحثون السياسة العمالية والتنظيم العمالي . تحدثوا عن الامور الجدية باسلوب جدي ، واتركوا علم التربية لعلماء التربية ، لا للسياسيين والمنظمين ...

حاولوا ان تفهموا ان هذه المسائل عن « السياسة » و « التنظيم » من الجدية بحد ذاتها بحيث انه لايمكن بحثها الا بطريقة جدية . بامكاننا ، ومن واجبنا ، ان نثقف العمال (وكذلك طلاب الجامعات والمدارس الاعدادية) لكي نمكنهم من فهمنا عندما نتحدث اليهم عن هذه المسائل ، وعندما تأتون للتحدث معنا في هذه المسائل ، اعطونا عنها اجوبة حقيقية ، ولا تتذرعوا بـ « المتوسطين » أو بـ « الجماهير » لاتتهربوا منها باقتباس اقوال سائرة أو عبارات فارغة .

« لينين : ما العمل ؟ »

في النشاط السياسي للحزب الاشتراكي الديمقراطي ، هناك دائما ، وسيكون هناك دائما ، شيء من التعليم : فمن الضروري تدريب كامل طبقة العمال المستخدمين على تقلد دورهم كمكافحين من اجل تحرير الانسانية كلها من نير الاضطهاد . من الضروري ان نعلم ، باستمرار ، كل مرتبة جديدة من هذه الطبقة يجب ان نكون قادرين على التقرب من أبسط افراد هذه الطبقة ، الافراد المتأخرين - أقل الناس احتكاكا بعلمنا وعلم الحياة - بطريقة تجعلنا اوثق صلة بهم يجب ان نتمكن من تثقيفهم ، بصبر واناة ، ومن رفع وعيهم الى مستوى الوعي الاشتراكي الديمقراطي . وعند القيام بذلك ، يجب ان لا نحوّل تعليمنا الى عقيدة جامدة ، يجب ان لانثقف بواسطة الكتب فقط ، بل عن طريق المشاركة في النضال من أجل الحياة الذي تخوضه كل يوم نفس هذه المراتب البسيطة الجاهلة من البروليتاريا ، نفس هذه المراتب المتأخرة . ونكرر القول ان هناك في هذا النشاط اليومي شيئا من التعليم . والاشتراكي الديمقراطي الذي ينسى

هذا النشاط لايعود اشتراكياً ديمقراطياً . هـذا صحيح . ولكن بعضنا غالباً ماينسى ، في هذه الايام ، ان الاشتراكي الديمقراطي الذي يختزل المهام السياسية الى مهام المدرّس فقط، لايعود ،هو الآخر ، اشتراكياً ديمقراطياً ـ وان يكن ذلك بسبب آخر . وكل من يفكر بجعل هذا « التعليم » شعاراً خاصـاً — كل من يفكر بجعله نقيض « السياسة » وبديلها ، ويبني على هـذا التناقض نزعة خاصة ، كل من يفعل ذلك ، ينزلق فوراً الى مهاوي الديماغوجية .

« لينين ــ حزيران ١٩٠٥ »

« ذكريات عن لينين بقلم ن . كروبسكايا »

العمل الشيوعي بين النساء



متضعون مقترحات للعمل الشيوعي بين النساء . وانا عليمة بمبادئكم وبخبرتكم العملية في هذا المضمار . لذلك فليس هناك مايتطلب البحث الكثير ... ان الموضوعات يجب ان تشير بوضوح الى ان حرية النساء لايمكن تحقيقها الا في ظل الشيوعية يجب التأكيد بقوة على الصلة التي لاانفصام لها بين المركز الاجتماعي والانساني للمرأة من جهة ، والملكية الخاصة لوسائل الانتاج من جهة اخرى . فذلك يرسم خطاً فاصلاً واضحاً لايمكن محوه بين سياستنا والحركة النسوية الليبرالية . كما انه يقيم اساساً لاعتبار مسألة المرأة جزء من المسألة الاجتماعية ، من قضية العمال ، وبذلك يربطها ربطاً محكماً بالنضال الطبقي البروليتاري والثورة .

ان الحركة النسائية الشيوعية يجب ان تكون ، هي نفسها حركة جماهيرية ، جزء من الحركة الجماهيرية العامة ، لا للبروليتاريا وحدها بل لجميع المستَغَلّين والمظلومين ، لجميع ضحايا الرأسمالية

أو اية سيطرة اخرى . وفي ذلك تكمن اهميتها للنضالات الطبقية التي تخوضها البروليتاريا ولمخلوقها التاريخي ــ المجتمع الشيوعي ــ ويحق لنا الفخر بواقع ان الحزب ، الاممية الشيوعية ، تضم زهرة النساء الثوريات . ولكن ذلك لايكفي . فعلينا ان نكسب الى جانبنا ملايين النساء الكادحات في المدن والقرى نكسبهن الى جانب نضالاتنا ، والى جانب التحويل الشيوعي المجتمع بصورة خاصة . فلا حركة جماهيرية حقيقية بدون نساء .

ان المبادىء التنظيمية تنبثق عن مفاهيمنا الايديولوجية . لاتنظيمات خاصة للنساء . ان المرأة الشيوعية هي عضوة في الحزب اسوة بالرجل الشيوعي . لها نفس الحقوق وعليها نفس الواجبات . ولن يختلف في هـذا اثنان . على اننا يجب ان لانتعامى عن واقع ان الحزب يجب ان يؤلف اجهزة ، او فرقاً عاملة ، أو هيئات أو لجاناً ، أو مكاتب ، سمها ماتشاء يكون واجبها الخاص انهاض جماهير العاملات ، وجعلهن على صلة بالحزب ، ووضعهن تحت نفوذ الحزب ، وهذا بالطبع يتطلب القيام بعمل منتظم بينهن . ان علينا ان ندرب النساء اللواتي ينهضن فنكسبهن ، وعلينا ان نسلحهن للنضال الطبقي البروليتاري تحت قيادة الحزب الشيوعي .

لااتكلم هنا عن النساء البروليتاريات فقط ــ سواء من كان منهن يعمل في المصنع أو في البيت . ان الفلاحات الفقيرات ، نساء البرجوازية الصغيرة ــ هن ايضاً من ضحايا الرأسمالية لا سيما منذ الحرب . ان نفسية هؤلاء النساء المتأخرات ، غير

الاجتماعيات ، واللواتي لا يبالين بالسياسة ، ومجال نشاطهن المنعزل المحدود ، وكامل نمط حياتهن – ان كل ذلك من الحقائق الواقعة. ان التغاضي عنهن لحماقة ، أية حماقة . اننا نحتاج الى هيئات مناسبة لممارسة العمل بين أوساطهن ، والى طرق خاصة من التحريك وأشكال من التنظيم . وليس هذا من قبيل التسوية الليبرالية ، بل انه ضرورة ثورية عملية ...

لماذا لم يبلغ عدد النساء في الحزب ، في أي وقت من الاوقات قدر عدد الرجال ، في كل تاريخ روسيا السوفياتية ؟ لماذا تجد عدد العاملات المنظمات في النقابات ضئيلاً الى هذا الحد ؟ هذه الحقائق تبعث على التفكير . إن التخلي عن ضرورة انشاء هيئات مستقلة لممارسة العمل بين جماهير النساء فكرة يحملها انصار الحزب العمالي الشيوعي الحميمون وذوو المبادىء العالية . فهم يرون انه يجب ان لا يوجد إلا شكل واحد من التنظيم هو اتحادات العمال . انني أعرفهم جيداً . ان كثيراً من الادمغة الثورية ، التي تلتبس عليها الامور ، تلتجىء الى المبادىء « كلما أعوزتها الافكار » . أي عندما يكون الذهن مغلقا أمام الحقائق الصلدة التي يجب أخذها بنظر الاعتبار . فكيف يلائم حماة « المبادىء النقية » هؤلاء بين أفكارهم وبين ضرورات السياسة الثورية المفروضة علينا ؟

كل هذه الادعاءات تنهار أمام الضرورة القاسية . فما لم نجر الى جانبنا ملايين النساء لا نستطيع ممارسة الدكتاتورية البروليتارية لا نستطيع البناء وفق خطط شيوعية ، فيجب ان نجد طريقنا

اليهن . يجب ان ندرس ونجد في البحث عن ذلك الطريق .

وطبيعي اننا يجب ان لا نطرح مطالبنا من أجل النساء بصورة ميكانيكية كما يحسب المرء خرزات المسبحة . كلا ، ان علينا ، تبعا للظروف السائدة ، ان نكافح تارة من اجل هذا ، وأخرى من أجل ذاك . وبالارتباط دائماً مع المصالح العامة للبروليتاريا ، طبعاً .

وكل نضال من هذا النوع يجعلنا وجها لوجه أمام العلاقات البرجوازية المحترمة ، وامام المعجبين بها ، أولئك الاصلاحيين الذين لا يقلون عنها احتراماً ، والذين يرغمهم نضالنا ، اما على الكفاح معنا وتحت قيادتنا — وهو أمر ينفرون منه — واما الظهور بالوانهم الحقيقية . أي ان النضال يبرز بجلاء الفوارق بيننا وبين الاحزاب الاخرى ، يبرز شيوعيتنا ، وهو يكسبنا ثقة جماهير النساء اللواتي يحسسن بالاستغلال والاستعباد والقمع الذي تسببه سيطرة الرجل ، وسلطة رب العمل ، والمجتمع البرجوازي كله .

على ان نساء الشغيلة سوف لا يشعرون بقوة لا تقاوم تدفعهن الى مشاركتنا النضال من اجل القبض على زمام السلطة ، اذا نحن اقتصرنا دائما ، وفي كل الظروف ، على تقديم ذلك المطلب الواحد ، مطلب السلطة ، وكأنه نفخ البوق الذي هدم حصون أريحة * . كلا ، كلا ! يجب ان تصبح النساء واعيات

* اريحة مدينة فلسطينية ، وتقول الاسطورة ان الجيوش المحاصرة لها ظلت تنفخ في الابواق حتي استجاب الله لندائها فهدم حصون المدينة — المعرب.

للرابطة السياسية القائمة بين مطاليبنا وبين آلامهن وحاجاتهن ورغباتهن . يجب ان يدركن ما تعنيه دكتاتورية البروليتاريا لهن : المساواة التامة مع الرجل في القانون ، في العمل ، في العائلة ، في الدولة ، في المجتمع ، والقضاء على سلطة البرجوازية .

ان روسيا السوفياتية تلقي ضوءاً جديداً على مطاليبنا النسوية . فهذه المطاليب ، في ظل الدكتاتورية البروليتارية ، لم تعد موضع صراع بين البروليتاريا والبرجوازية ، بل انها جزء من بناء المجتمع الشيوعي . ويكشف هذا لنساء الاقطار الاخرى عن الاهمية الحاسمة لاستيلاء البروليتاريا على السلطة ..

ولكننا يجب ان لانخادع انفسنا . ان فروعنا الوطنية[1] لازالت تفتقر الى فهم هذه المسألة على الوجه الصحيح فهي تقف على التل متقاعسة في حين تواجهها مهمة خلق حركة جماهيرية للنساء العاملات تحت قيادة شيوعية . وهي لاتفهم ان تطوير وادارة مثل هذه الحركة الجماهيرية جزء هام من كامل النشاط الحزبي ، بل انه في الواقع نصف العمل الحزبي العام . اما إقرارها احيانا بضرورة واهمية ايجاد حركة نسوية شيوعية قوية واضحة الهدف فهو اقرار افلاطوني ، اقرار بالكلام فقط ، وليس واجباً حزبياً يجب العمل لتحقيقه بدأب واستمرار .

اما القيام بالتحريك والدعاية بين النساء ، ايقاظهن

---

(١) تقصد الاحزاب الشيوعية في كل قطر ، وقد كانت فروعاً للأممية الشيوعية الثالثة — المعرب .

وبعث الثورية في صفوفهن ، فيعتبر مسألة عرضية ، شأناً من شؤون الرفيقات فقط . فتراهم يلقون اللوم على الرفيقات فقط اذا كان العمل في هذا الاتجاه لايجري بسرعة اكبر وبقوة اعظم . هذا خطأ ، خطأ صارخ — انه انعزالية صريحة ، وهو مساواة نسوية مقلوبة رأساً على عقب ، كما يقول الفرنسيون! ماهو اساس هذا الموقف الخاطىء الذي تقفه فروعنا الوطنية ؟ انه ، في التحليل الأخير ، لا يخرج عن كونه استهانة بالمرأة وعملها . أجل ، بكل تأكيد .

ومن المؤسف ان الكثير من رفاقنا لا يزال يصح فيهم قول القائل : « ضع شيوعياً على المحك وستجده جاهلاً متزمتاً ». وطبيعي انك يجب ان تضع محكك في الموضع الحساس ، وأقصد بالموضع الحساس ذهنية الرجل تجاه المرأة . وهل من دليل يدين الرجال اكثر من هدوئهم ولامبالاتهم وهم يرون النساء ينهكن اجسادهن في الاعمال البيتية التافهة الرتيبة ، فتستنفذ قواهن وتنفق اوقاتهن وتضيق افكارهن وتنطفىء جذوتها وتخفت نبضات قلوبهن وتضعف ارادتهن ؟ وطبيعي انني لا اتحدث هنا عن سيدات الطبقة البرجوازية اللواتي يلقين على عاتق الخدم مسؤولية القيام بالاشغال البيتية ، بما في ذلك رعاية الاطفال . انما أتحدث عن الاكثرية الساحقة من النساء ، عن زوجات العمال وممن يقضين نهارهن كله في المصنع .

قليل من الرجال — حتى بين أوساط البروليتاريا — من يدركون الجهد والتعب الذي يمكن ان يوفروه للنساء ، أو

حتى يمكن ان يجعلوه في حكم العدم ، فيما لو مدوا يد المساعدة للنساء في «أعمالهن الخاصـة ». ولكن لا ، ان ذلـك يناقض « حق الرجل وكرامته ». فهم ينشدون أمنهم وراحتهم . ان الحياة البيتية التي تحياها المرأة هي تضحية يومية من اجل آلاف التوافه . ان حق الرجل القديم في التحـكم والسيطرة لايزال يسري متخفياً في عروق الرجل اليوم . أما امّته [1] فتنتقم منه كذلك خفية . اذ ان تأخر النساء ، وعدم فهمهن للمُثل الثورية العليا التي يكافح من اجلها الرجل ، يقلل من سعـادته في النضال ويوهن من عزيمته وتصميمه على الكفاح . فمثلهن كمثل الحشرات الصغيرة التي لا تراها العين ، والتي تعمل في الاجسام افساداً ونخراً ببطء ، ولكن بثبات . انني اعرف حياة العمال جيداً ، ومعرفتي هذه لم استقها من الكتب فقط .

ان عملنا الشيوعي بين النساء ، عملنا السيـاسي ، ينطوي على قدر كبير من العمل التثقيفي بين الرجال . فان علينـا ان نستأصل فكرة « التحكم والسيطرة » القديـمة ونجتث كل جذورها ، حتى اصغرها وآخرها ، في الحزب وبين الجماهير . وهذه احدى مهامنا السياسية ، شأن المهـمة الضرورية الملحة الأخرى ، مهمة تأليف هيئة من الرفاق والرفيقات ، المحنكين في النظرية والتطبيق ، لممارسة النشاط الحزبي بين العاملات .

ان حكومة دكتاتورية البروليتاريا ، جنباً لجنب مـع الحزب الشيوعي والنقابات لاتترك باباً الا ّ وتطرقه ، طبعاً ،

(١) الامة : هي المرأة الرقيق – المعرب

من اجل التغلب على الافكار الرجعية في عقول الرجال والنساء من أجل القضاء على النفسية اللاشيوعية العتيقة . ان القانون يضمن بطبيعة الحال ، المساواة التامـــة في الحقوق للنساء والرجال . وهناك في كل مكان دلائل تشير الى وجود رغبة صادقة في وضع هذه المساواة موضع التطبيق . ونحن نجر النساء الى الاقتصاد الاجتماعي ، الى التشريع والحكم ، وكل المؤسسات التثقيفية مفتوحة على مصاريعها امامهن ، وذلك كي يتمكن من رفع كفاءاتهن المهنية والاجتماعية .

اننا ننشىء المطابخ الجماعية والمطاعم العامة ، معامل الغسيل والكي والترقيع ، ملاجىء الاطفال ، رياض الاطفـــال ، دور الاطفال ، المعاهد التثقيفية من مختلف الانواع . وسيؤدي ذلك الى تحرير المرأة من الكدح البيتي القديم ومن التبعيـة للرجل وسيمكنها من ابداء كل كفاءاتها ومن اشبـــاع كل ميولها وينشأ الاطفال في ظروف ملائمة احسن من الظروف المتوفرة في البيت . ان لدينا ارقى مافي العالم من قوانين لحماية النساء العاملات ، وموظفو العمال المنظمين ينفذون هذه القوانين . اننا ننشيء مستشفيات الولادة ، ودور للامهات والاطفال ، وعيادات خاصة بالامومة ، وننظم المحاضرات عن رعاية الاطفال ، ونقيم المعارض التي تعلم الامهـــات كيف يعتنين بانفسهن واطفالهن ، الى غير ذلك . ونحن نبذل اقصى جهودنا لأعاشة النساء العاطلات واللواتي لامورد لهن .

اننا نعلم حق العلم ان ذلك ليس بالشيء الكثير ، اذا

ما قورن بما تحتاج اليه النساء العاملات ، وانه ابعد من ان يكون كل مايتطلبه امر توفير الحرية الحقيقية لهن . ولكنه مع ذلك تقدم جبار بالنسبة لظروف روسيا القيصرية – الرأسمالية بل انه عمل كبير حتى بالنسبة للظروف السائدة في الاقطار التي لاتزال فيها يد الرأسمالية حرة طليقة . انها لبداية حسنة في الاتجاه الصحيح ، ولسوف نعمل على تطويرها . ويمكنكم ان تثقوا باننا سنعمل على ذلك بكل طاقتنا . فكل يوم يمر على دولتنا السوفياتية يثبت بمزيد من الجلاء اننا لانستطيع التقدم بدون النساء .

« كلارا زيتكين : ذكريات عن لينين »

ضرورة الجريـــــــدة

★

في رأينا ، ان نقطة البدء في كل نشاطنا ، ان الخطوة العملية الاولى نحو خلق المنظمة التي نصبوا اليها ، ان الخيط الذي يوجهنا في عملنا الذي لاينثني من اجل تطوير وتعميق وتوسيع هذه المنظمة ، هو انشاء جريدة سياسية لعموم الروسيا فالصحيفة هي مانحتاجه قبل أي شيء آخر ، وبدونها لانستطيع ان نزاول بانتظام تلك الدعاية وذلك التحريض الواسعين والصحيحين من الوجة النظرية ، اللذين يعتبران الواجب الرئيسي والدائم امام الاشتراكيين الديمقراطيين بوجه عام ، ومهمة الساعة الراهنة بوجه خاص ، حيث اثير الاهتمام بالسياسة وبمسائل الاشتراكية بين اوسع أقسام السكان .

لم يسبق ابداً من قبل ان فرضت نفسها بمثل هذه القوة ضرورة اتمام التحريك الفردي الذي يتخذ شكل التأثير الشخصي ، أو المناشير المحلية ، أو الكراريس ، الخ ، بتحريك عام ، يدار بانتظام ، وهو تحريك لايمكن ممارسته بدون الاستعانة

بصحافة دورية . ولا نغالي اذا قلنا ان تواتر وانتظام الطبع (وتوزيع) الصحيفة سيكون وسيلة نقيس بها بدقة مدى توطد ذلك الفرع الاولي والاهم من فروع عملياتنا العسكرية .

والصحيفة ، علاوة على ذلك ، يجب ان تكون صحيفة لعموم الروسيا . فنحن مالم نتمكن من ممارسة تأثير موحد على السكان وعلى الحكومة بواسطة الصحافة ، من الطوباوية التفكير بدمج اشكال اخرى في ممارسة التأثير ، اشكال اعقد وأصعب ولكنها اكثر حزماً . ان حركتنا تعاني ، ثقافياً ، وكذلك عملياً وتنظيمياً ، اكثر ما تعاني من واقع ان الاكثرية الساحقة من الاشتراكيين الديمقراطيين غارقون ، بصورة كلية تقريباً ، في عمل محلي صرف يضيق من آفاقهم ويحد من نشاطهم ويؤثر على مهارتهم في العمل السري ودربتهم عليه . وفي هذا التفكك يجب ان نبحث عن الجذور العميقة للقلق والتذبذب اللذين اشرت اليهما آنفاً . والخطوة الاولى نحو ازالة هذا النقص ، وتحويل بضعة حركات محلية الى حركة موحدة لعموم الروسيا ، هو انشاء جريدة وطنية على نطاق عموم الروسيا .

واخيراً ، فان الصحيفة التي نحتاجها هي صحيفة سياسية . فبدون صحيفة سياسية لايمكن تصور حركة سياسية جديرة بهذا الأسم في اوربا الحديثة . وبدون صحيفة من هـــذا النوع يستحيل بالمرة انجاز مهمتنا ...

ولكن دور الصحيفة لايقتصر على نشر الافكار فقط ، على التثقيف السياسي وجذب الحلفاء السياسيين فقط . فالصحيفة

ليست داعية جماعياً ومحركا جماعياً وحسب ، بل انهـــا منظم جماعي كذلك . ومن هذه الناحية يمكن مقارنتها بالهيكل الخشبي الذي يقام حول البناية اثناء البناء . فهو يعيّن خطوط البناية ويسهل الاتصال بين البنائين فيسمح لهم بتوزيع العمل ورؤية النتائج المشتركة التي بلغوها بعملهم المنظم . فبواسطة الجريدة ، وحول الجريدة ، ستتطور بصورة اوتوماتيكية منظمة لاتعني بالنشاط المحلي وحده ، بل تنصرف كذلك الى عمل منتظم ، عام ؛ وستعلّم اعضاءها مراقبة الحوادث السياسية بدقة ، وتقدير اهميتها وتأثيرها بالنسبة لمختلف اقسام السكان ، وابتكار طرق منـــاسبة للتأثير في هذه الاحداث عن طريق الحزب الثوري .

ان المشكلة الفنية البحتة ، مشكلة مـــدّ الجريدة بالمواد بانتظام وتوزيعها بانتظام ، ستجعل من الضروري خلق شبكة من الوكلاء التابعين لحزب موحـــد ، وكلاء سيكونون على اتصال وثيق ببعضهم ، وسيلمون بالوضع العام ، وسيتعودون انجاز الواجبات التفصيلية التي يتطلبها العمل الوطني (على نطاق عموم الروسيا) وسيختبرون قوتهم في تنظيم مختلف انواع النشاط الثوري . ان شبكة الوكلاء[1] هذه ستؤلف هيكل

(١) من المفهوم ، طبعـــاً ، ان هؤلاء الوكلاء لا يمكن ان ينجحوا في عملهم الا اذا عملوا بالارتباط الوثيق مع اللجان (الفرق والحلقات) المحليـــة التابعة لحزبنا . والواقع ان كامل المشروع الذي رسمناه لا يمكن تحقيقه الا اذا تلقى انشط المساندة من جانب اللجان التي سبق لها ان بذلت اكثر من محاولة واحدة لايجاد حزب موحد ، والتي ستحقق هذه الوحـــدة ، دون شك ، ان عاجلًا او آجلًا ، بهذا الشكل او ذاك .

المنظمة التي نحتاجها ، أي منظمة لهـــا من الضخامة ماتستطيع معه ان تشمل البلاد بأسرها ، ولها من السعة وتعدد الجوانب مايمكنها من ايجاد توزيع دقيق ومفصل للعمل ؛ ولها من الخبرة والصلابة ماتستطيع معه مواصلة العمـل ، دون ضعف ولا فتور ، مهما كانت الظروف ، ومهما كانت « التقلبات » والمفاجآت ، ولها من المرونة مايمكنها من تجنب معركة مكشوفة مع عدوٍ متفوق ركز قواته ومهاجمته في المكان والزمان اللذين يكون فيهما اقل توقعاً للهجوم ... فاذا ما وحّدنا قوانا من اجل ادارة صحيفة مشتركة ، فان ذلك العمل سوف يهيىء ويقدم ، فضلاً عن اكفأ الدعاة ، امهر المنظمين والمع القادة الحزبيين السياسيين الموهوبين الذين سيكونون قادرين في اللحظة المناسبة على اصدار النداء لخوض المعركة الحاسمة وسيتمكنون من قيادة تلك المعركة .

« لينين : من اين نبدأ ؟ »

القيــادة ـ شعارات وديالكتيك



ما أكثر الحالات التي لم تستطع فيها ، لفترة طويلة من الزمن ، حتى أكثر الاحزاب تقدماً ، من التكيف للوضع الجديد عندما يكون التاريخ قد انعطف انعطافاً حاداً ، فهي تظل تردد الشعارات التي كانت صحيحة فيما مضى ، ولكنها غدت عديمة المعنى ، لانها فقدت ذلك المعنى بسرعة « مفاجئة » كسرعة الانعطاف « المفاجىء » الذي حصل في التاريخ .

« لينين : حول الشعارات »

ان تجربة قادة الاممية الثانية ، اولئك الماركسيين ذوي العلم الغزير الذين كانوا مخلصين للاشتراكيـة ، من امثال كاوتسكي واوتو باور وغيرهما ، يمكن (ويجب) ان تكون لنا درساً مفيداً . فقد قدّروا تمام التقدير الحاجـة الى تاكتيك مرن ، وتعلموا وعلموا الديالكتيك الماركسي (وان الكثير مما انجزوه في هذا المضمار سيبقى الى الابد مساهمـة قيّمة في الادب الاشتراكي) ، ولكنهم عند تطبيق هـذا الديالكتيك ارتكبوا من الأخطاء، او انهم اظهروا من اللاديالكتيكية ومن العجز عن الاخذ بنظر الاعتبار التبدل السريع في الاشكال والأمتلاء السريع للاشكال القديمة بمحتوى جـديد ، ماجعل مصيرهم لايمتاز كثيراً عن مصير هايدمان وجيزد وبليخانوف الذي لا يحسدون عليه .

والسبب الرئيسي لافلاسهم يرجع الى واقع انهم « ركزوا انظارهم » على شكل محدد واحد من اشكال نمو حركة الطبقة العاملة والاشتراكية ، ونسوا كل مايعلق بنقص هذا الشكل واقتصاره على جانب واحد وخافوا رؤية الانعطاف الحـاد الذي حتمته

الشروط الموضوعية ، وظلّوا يرددون الحقائق البسيطة ، الروتينية التي تبدو لأول وهلة وكأنها لاتقبل نقـــاشاً ، من قبيل : « الثلاثة اكبر من الاثنين » . ولكن السياسة اشبه بالجبر منها بالحساب ، انها اشبه بالرياضيات العليا منها بالرياضيات السفلى . والواقع هو ان جميع الاشكال القديمة للحركة الاشتراكية قد امتلأت لمحتوى جديد ، وظهرت ، بالتالي ، علامة جديدة ،علامة « ناقص » امام جميع الارقام ، اما اصحابنا الادعياء فقد اصروا (ولا زالوا يصرّون) على اقناع انفسهم والآخرين بأن « ناقص ثلاثة » اكبر من « ناقص اثنين » .!

يجب ان نحرص على ان لايكرر الشيوعيون نفس الغلطة ولكن بطريقة معكوسة ...

« لينين : شيوعية الجناح اليساري »

اذا اراد الحزب ان يبقى حزب البروليتاريا فعليه ان يعلم انه ، فوق كل شيء وبالدرجة الرئيسية ، مرشد الطبقة العاملة ، قائدها ، معلمها . يجب ان لا يغرب عن ذهننا ما قاله لينين في هذا الصدد في كراسه : الدولة والثورة :

« ان الماركسية ، اذ تثقف حزب العمال ، تثقف طليعة البروليتاريا القادرة على تسلم السلطة وعلى قيادة الشعب كله نحو الاشتراكية القادرة على توجيه وتنظيم النظام الجديد ، القادرة على ان تكون معلمة جميع الكادحين والمستغلين ، ومرشدتهم وقائدتهم (الخطوط من وضعي - ي . س) في مهمة بناء حياتهم الاجتماعية بدون البرجوازية وضد البرجوازية » .

فهل يمكننا اعتبار الحزب قائداً حقيقياً للطبقة العاملة اذا كانت سياسته خاطئة ، اذا تصادمت سياسته مع مصالح الطبقة؟ كلا ، طبعا ! ففي احوال كهذه ، على الحزب ، اذا اراد ان

يبقى قائداً، ان يعيد النظر في سياسته، عليه ان يعدل سياسته، عليه ان يعترف بخطئه ويعدله. وتعزيزاً لقولنا هذا، يمكن ان نستشهد، مثلاً، بحقيقة وقعت في تاريخ حزبنا في فترة الغاء نظام استملاك الفائض، عندما اصبح واضحا ان جماهير العمال والفلاحين أخذت تتذمر من سياستنا وعندما وافق الحزب بصراحة وامانة على اعادة النظر في هذه السياسة واليكم ما قاله لينين آنذاك، في المؤتمر العاشر للحزب عن مسألة الغاء نظام استملاك الفائض وتدشين السياسة الاقتصادية الجديدة:

«يجب ان لا نحاول اخفاء اي شيء، بل يجب ان نقول بصراحة واستقامة ان الفلاحين غير راضين عن شكل العلاقات التي أقيمت معهم، انهم لا يريدون هذا الشكل من العلاقات ولن يطيقوه بعد اليوم. وهذا أمر لا يحتمل النقاش. فقد عبروا عن ارادتهم هذه بصورة قاطعة، وهي ارادة الجماهير الغفيرة من الشغيلة. فعلينا ان ندخل هذا في حسابنا، ونحن رجال سياسة لنا من الرزانة ما يؤهلنا لأن نقول بصراحة واستقامة: « **فلنعد النظر في مسألة سياستنا تجاه الفلاحين**. »

(الخطوط من وضعي ـ ي. س.)

هل يجب على الحزب ان يأخذ المبادرة والقيادة في تنظيم

عمل جماهيري حاسم لمجرد ان سياسته صائبة على وجه العموم، اذا لم تكن تلك السياسة قد حظيت بعد ثقة وتأييد الطبقة جراء تأخرها السياسي ، مثلاً ، اذا لم يكن الحزب قد نجح بعد في اقناع الطبقة بصحة سياسته لأن الحوادث لم تكن قد نضجت بعد، مثلاً ؟ كلا ، يجب ان لايفعل ذلك . ففي احوال كهذه ، على الحزب ، اذا اراد ان يكون قائداً حقيقياً ، ان يعرف كيف ينتظر الفرصة المناسبة ، عليه ان يقنع الجماهير بصحة سياسته ، عليه ان يساعد الجماهير على الاقتناع من تجربتها الخاصة بصحة هذه السياسة : يقول لينين :

« اذا لم يكن الحزب الثوري اغلبية في طلائع الطبقات الثورية وفي القطر عموماً ؛ فلا يمكن التفكير بالانتفاض . »

« ان الثورة مستحيلة بدون تبـــدل في نظرات اغلبية الطبقة العاملة ، ويتم هذا التبدل عن طريق التجربة السياسية للجماهير ... »

لقد كسبنا الطليعة البروليتارية ايديولوجياً. وهذا هو الشيء الرئيسي .

فبدونه لايمكن التقدم حتى خطوة واحدة نحو النصر . ولكن لايزال دون النصر طريق طويل . فبالطليعة وحـــدها لايمكن احراز النصر . ليس من الحماقة فحسب ، بل من

الجريمة ان نزج الطليعة وحدها في المعركة الحاسمة قبل ان تكون الطبقة كلها ، قبل ان تكون الجماهير الغفيرة ، قد اتخذت موقف المساندة المباشرة للطليعة ، او على الاقل موقف الحياد الودي منها ، موقفا ينتفي فيه احتمال مساندتها للعدو . ولكي تتخذ الطبقة كلها حقاً ، لكي تتخذ حقاً للجماهير الغفيرة من الكادحين ومضطهدي رأس المال هذا الموقف ، لاتكفي الدعاية والتحريك وحدهما في سبيل ذلك ، يجب ان تكون للجماهير تجربتها السياسية الخاصة . »

ونحن نعلم ان هذا بالضبط هو اسلوب عمل الحزب في الفترة الممتدة منذ كتابة لينين لمسائل نيسان حتى انتفاضة اكتوبر عام ١٩١٧ . وما نجح الحزب في الانتفاض الا لأتباعه ارشادات لينين هذه .

هذه على وجه العموم ، هي شروط العلاقات المتبادلة الصحيحة بين الطليعة والطبقة .

ماذا تعني القيادة عندما تكون سياسة الحزب صائبة ، وعندما لاتكون العلاقات بين الطليعة والطبقة معكرة ؟

ان القيادة ، في مثل هذه الظروف ، تعني المقدرة على اقناع الجماهير بصحة سياسة الحزب ، القدرة على طرح وتحقيق

شعارات من شأنها ان تقرب الجماهير من موقف الحزب وتساعدها على ادراك صحة سياسة الحزب بتجربتها الخاصة ، القدرة على رفع الجماهير الى مستوى وعي الحزب ، فيضمن بذلك تأييد الجماهير واستعدادها للنضال الحاسم .

فطريقة الاقناع ، اذن ، هي الطريقة الاساسية التي يستخدمها الحزب في قيادة الطبقة .

يقول لينين :

« اننا اليوم ، في روسيا ، بعد سنتين ونصف السنة من الانتصارات التي لم يسبق لها مثيل على برجوازية الروسيا والحلفاء ، لوجعلنا « الاعتراف بالدكتاتورية » [1] شرطاً من شروط العضوية في النقابات ، لارتكبنا حماقة ، لأنزلنا الضرر بنفوذنا على الجماهير ، لساعدنا المنشفيين . فكل واجب الشيوعيين هو التمكن من **اقناع** العناصر المتأخرة ، العمل بينها ، **لاعزل انفسنا عنها بسياج من الشعارات** المصطنعة و « اليسارية » « الصبيانية » .

ولا يعني هذا طبعاً ، ان على الحزب اولاً ان يقنع جميع العمال حتى آخر رجل ، وعند ذاك فقط ينتقل الى العمل ، بعد ذلك فقط يمكنه ان يبدأ عملياته . لاشيء من هذا القبيل

---

١ - اي دكتاتورية البروليتاريا - المعرب

بل كل مايعنيه هو انه قبل الدخول في اعمال سياسية حاسمة يجب على الحزب ان يضمن لنفسه ، عن طريق العمل الثوري الطويل ، تأييد اغلبية الجماهير العاملة ، او الحياد الودي من جانب اغلبية الطبقـــة على الاقل . والا لم يبق أي معنى لموضوعة لينين القائلة ان من الشروط الضرورية للثورة الناجحة هو ان يكسب الحزب اغلبية الطبقة العاملة الى جانبه .

« ستالين : قضايا اللينينية »

أهمية الشعارات
في الستراتيجي والتاكتيك

★

ان القرارات المصاغة صياغة بارعة ، والمعبرة عن اهـداف الحرب أو اهداف معارك مفردة منها ، والمعروفة والمفهومة بين الجنود ، تكون في الجبهة احياناً ذات اهمية فائقة في دفـع الجنود الى القتال ، وفي رفع معنوياتهم ، وهلم جرّا . فالاوامر والشعارات او النداآت الصحيحة الى الجنود مهمـــة لنجاح الحرب ، أهمية المدفعيـــة الثقيلة من اعلى طراز أو الدبابات السريعة من اعلى طراز .

واهم من ذلك هي الشعارات في الميدان السياسي ، حيث يتعلق الامر باعداد غفيرة من الناس ، وعلى المرء ان يحسب الحساب لمختلف مطاليبهم وحاجاتهم .

ان الشعار هو صياغة موجزة وواضحة لأهداف النضال ، القريبة أو البعيدة ، تضعها الفرقة القيادية للبروليتاريا ، مثلاً ، يضعها حزبها . ان الشعارات تتغير وفقاً لاهـــداف النضال

المختلفة التي قد تشمل فترة تاريخية معينة أو اطواراً مفردة أو اقساماً مفردة من الفترة التاريخية المعيّنة . إن شعار « فلتسقط الاتوقراطية » الذي طرحته لاول مرة (فرقة تحرير العمل) في العقد التاسع من القرن الماضي ، كان شعاراً للدعاية لانه كان يستهدف أن يكسب الحزب افراداً أو جماعات من اصلب المناضلين واقواهم شكيمة . وخلال الحرب الروسية اليابانية ، عندما اصبح تقلقل الاوتوقراطية واضحا نوعاً ما لأقسام واسعة من الطبقة العاملة ، اصبح هذا الشعار شعاراً تحريكياً . فقد كان يرمي الى كسب جماهير واسعة من الكادحين . وقبيل ثورة شباط عام ١٩١٧ ، عندما كانت القيصرية قد انفضحت تماماً في اعين الجماهير ، تحول شعار « فلتسقط الاتوقراطية » من شعار تحريكي الى شعار عمل ، لانه كان يرى الى زج الجماهير الغفيرة لمهاجمة القيصرية . وخلال ثورة شباط اصبح هذا الشعار ايعازاً حزبياً ، أي انه بتعبير آخر ، اصبح نداءً مباشراً للاستيلاء على مؤسسات معينة وعلى مواقع معينة من النظام القيصري ، لان المسألة كانت قد اصبحت مسألة اسقاط القيصرية وتحطيمها بالفعل . ان الايعاز هو نداء مباشر للعمل يصدره الحزب ، نداء للعمل في زمان معين ومكان معين ، وهو ملزِم لجميع اعضاء الحزب ، واذا كان النداء ناجحا وبارعاً في صياغة مطاليب الجماهير ، واذا كان ناضجاً حقاً ، فأن جماهير واسعة من الكادحين تأخذ به عادة .

ان الخلط بين الشعارات والأيعازات ، أو بين شعار تحريكي وشعار عمل ، شيء خطر ، كما ان العمل المتسرع أو المتأخر شيء خطر وقد يكون قاضياً في بعض الاحيان . ففي نيسان ۱۹۱۷ كان شعار « كل السلطـــة للسوفيات » شعار تحريـكي . اما المظاهرة الشهيرة الـتي قامت في بتروغراد في نيسان ۱۹۱۷ تحت شعار « كل السلطة للسوفيات » والتي طوقت القصر الشتوي ، فقد كانت محاولة ، محاولة متسرعة ، وبالتالي فهي محاولة قاضية ، لتحويل الشعار الى شعار عمل . وكان ذلك مثالاً خطراً جداً لشعار تحريكي يفسر خطأ بشعار عمل . وقد كان الجزب على حق عندما أدان مدبري هـذه المظاهرة لأنه كان يعرف ان الشروط اللازمة لأمكان تحويل هذا الشعار الى شعار عمل لم تحن بعد ، وان العمل المتسرع من جانب البروليتاريا قد يؤدي الى تدمير قواها .

وهناك ، من الجهة الاخرى ، اوقات ينبغي على الحزب فيها ان « يبطل » أو يبدل في ظرف اربع وعشرين ساعة ، شعاراً (أو ايعازاً) ناضجاً كان قد اتخذ مقدماً — وذلك كي يصون صفوفه من فخ نصبه العدوّ ـــ أو يؤجل تنفيذ ايعاز ما الى لحظة أنسب . وقد نشأت مثل هذه الحـــالة في بتروغراد في حزيران ۱۹۱۷ ، عندما ابطلت اللجنة المركزية لحزبنا « فجأة » ، نظراً لتبدل الوضع ، مظـــاهرة العمال والجنود ، كانت قد هُيأت بعناية وعُين لها يوم ۹ حزيران . ان مهمة الحزب هي

ان يكون قادراً على ان يحول ، بمهارة وفي الوقت المناسب، الشعارات التحريكية الى شعارات عمل ، أو شعارات العمل الى إيعازات محدودة ملموسة ، او ان يبدي ، عندما يتطلب الوضع ، من المرونة والحزم مايكفي لأبطـــال اي شعار في الوقت المناسب ، مهما كان شعبياً وناضجاً .

« ستالين : استراتيجي وتاكتيك الشيوعيين الروس »

يقول لينين : «ان المسألة الرئيسية في كل ثورة هي ، دون ريب ، مسألة السلطة » في ايدي اية طبقة ، او اية طبقات، تتركز السلطة ، اية طبقة أو اية طبقات ، يجب اسقاطها ،اي اية طبقة أو أية طبقات ، يجب ان تأخذ السلطة – هذه هي « المسألة الرئيسية في كل ثورة » .

ان شعارات الحزب الستراتيجيـــة الأساسية التي تحتفظ بصحتها خلال مرحلة كاملة من مراحل تطور الثورة لايمكن ان تسمى شعارات اساسية ، ان هي لم تستند بصورة تامة وكاملة على موضوعة لينين الجوهرية هـذه . ان الشعارات الاساسية لايمكن ان تكون شعارات صائبة الا اذا قامت على اساس تحليل ماركسي للقوى الطبقية ، الا اذا اشارت الى الخطة الصحيحة لتعبئة القوى الثورية على جبهة الصراع الطبقي، إلا اذا ساعدت على جلب الجماهير الى جبهة النضال من اجل انتصار الثورة ومن اجل استيلاء الطبقة الجديدة على السلطة ، وإلا اذا ساعـــدت الحزب على تأليف جيش سياسي كبير

وجبار من بين جماهير الشعب الغفيرة . هذا الجيش الضروري لانجاز هذه المهمة .

ان الانحدارات والتراجعات ، الهزائم ، والاخطاء التاكتيكية ، قد تقع في اية مرحلة من مراحل الثورة ، ولكن ذلك لايعني ان الشعار الستراتيجي الاساسي خاطيء ...

لايمكن الحكم على شعارات حزبنا الستراتيجية من زاوية النجاحات أو الانحدارات العرضية التي تصيبها الحركة الثورية في أية فترة معينة ، ومن باب اولى لايمكن الحكم عليها من زاوية اوقات واشكال تحقيق هذا أو ذاك من المطاليب التي تنبثق من هذه الشعارات . ان شعارات الحزب الستراتيجية لايمكن الحكم عليها الا من زاوية التحليل الماركسي للقوى الطبقية والتعبئة الصحيحة للقوى الثورية في ميدان النضال من اجل انتصار الثورة وتركيز السلطة في ايدي الطبقة الجديدة .

« ستالين : ثورة اكتوبر . »

لغة الدعاية والتحريك



يجب ان نضع نصب اعيننا دائماً واقع ان الجماهير الغفيرة لايمكنها ان تستوعب مقرراتنا مالم نتعلم التكلم باللغة التي تفهمها الجماهير. ونحن لانعرف دائماً كيف نتكلم ببساطة، بصورة ملموسة ، وبضرب الامثلة المألوفة والمفهومة من الجماهير ولازلنا نأبى التخلي عن الصيغ المجردة التي حفظناها عن ظهر قلب . والواقع انكم لو القيتم نظرة على منشوراتنا وجرائدنا وقراراتنا وموضوعاتنا لوجدتم ان اغلبها قد كتب بلغة واسلوب معقدين يصعب فهمها حتى على موظفينا الحزبيين ، ناهيكم عن العمال البسطاء .

ولو تذكرنا ، ايها الرفاق ، ان العمال الذين يوزعون هذه المناشير ، بل حتى الذين يقرأونها فقط ، يعرضون حياتهم، لاسيما في الاقطار الفاشية الى الخطر ، لأدركنا بمزيد من الجلاء ضرورة الكتابة للجماهير بلغة تفهمها الجماهير ، كي لاتذهب التضحيات المبذولة ادراج الرياح .

وهذا يصدق بنفس الدرجة على تحريكنا ودعاياتنا الخطابيتين . ويجب ان نقر بصراحة تامة ان الفاشيست قد اظهروا في هذا المضمار من البراعة والمرونة مابزّوا بهما عادة الكثير من رفاقنا .

اذكر ، على سبيل المثال ، اجتماعاً للعاطلين عقد في برلين قبل تسلم هتلر الحكم . في ذلك الوقت ، كانت تجري محاكمة المحتالين والمضاربين المشهورين ، الأخوان سكلاريك ، التي ظلت

تتلكأ عدة اشهر . فعمد احد الخطباء الاشتراكيين الوطنيين [١]، في خطابه امام المجتمعين ، الى استغلال هذه المحاكمة بصورة ديماغوجية للوصول الى غاياته الخاصة . فأشار الى الاحتيال والرشوة وغيرها من الجرائم التي اقترفها الأخوان سكلاريك ، واكد على واقع ان المحاكمة ظلت تتلكأ عدة اشهر وانها قد كلفت الشعب الالماني مئات الآلاف من الماركات. ثم اعلن الخطيب ، وسط عاصفة من التصفيق ، ان قطاع الطرق من أمثال الأخوان سكلاريك كان يجب رميهم بالرصاص دون ضجة ، وان النقود التي صرفت على المحاكمة كان يجب ان تذهب الى جيوب العاطلين .

وهنا نهض احد الشيوعيين وطلب الكلام . فرفض الرئيس اجابة طلبه بادىء الامر ، ولكنه اضطر اخيراً الى السماح له بالكلام تحت ضغط الحاضرين الذين ارادوا ان يسمعوا رأي الشيوعيين ، وعندما اعتلى الشيوعي منصة الخطابة ، كتم الجميع انفاسهم في انتظار ماقد يقوله الخطيب الشيوعي .حسناً ، فماذا قال ياترى ؟

بدأ الشيوعي كلامه بصوت جهوري ، وقال : « ايها الرفاق ، لقد انفض منذ امد قريب الاجتماع الكامل للاممية الشيوعية . وقد ابان الاجتماع الطريق لخلاص الطبقة العاملة . وان المهمة الرئيسية التي يضعها عليكم ، ايها الرفاق ، هي

---

(١) – أي النازيين – المعرب .

« ان تكسبوا اكثرية الطبقة العاملة ... » وقد اشار الاجتماع الى وجوب « اسباغ الطابع السياسي » على حركة العاطلين. وهو يدعونا لرفعها الى مستوى اعلى .

على هذه الشاكلة واصل الشيوعي كلامه ، وهو يتصور على مايبدو ، انه انما « يشرح » مقررات الاجتماع الكامل الرسمية .

ايمكن لمثل هذا الخطاب ان يجد استجــابة في نفوس العاطلين ؟ ايمكن للعاطلين ان يجدوا أي عزاء في واقع اننا قد عزمنا على اسباغ الطابع السياسي عليهم اولاً ، والطابـع الثوري ثانياً ، وعلى تعبئتهم اخيراً ، من اجل رفع حركتهم الى مستوى اعلى .

ومن احدى زوايا القاعـة لاحظت ، والألم يحز في قلبي كيف ان العاطلين ، الذين كانوا جد ّ متحمسين لسماع ما قد يقوله الشيوعي وليتعلموا منه مايجب عليهم عمله بصورة ملموسة ، قد بدأوا يتثاءبون ويظهرون من علائم خيبة الامل مالا يخطئـه النظر . ولم نستغرب ابداً عندما رأيت الرئيس يقطـع على الخطيب خطابه بفظاظة آخر الامر ، دون ان تبدر اية بادرة احتجاج من المجتمعين .

وهذه الحادثة ، مع الاسف ، ليست بالوحيدة من نوعها في عملنا التحريكي . كما ان هذه الحوادث ليست مقصورة على المانيا . ومن يمارس التحريك على هذا النحو يمارس التحريك ضد قضيته بالذات . لقد آن الأوان لوضع حد ّ نهـائي لهذه

الطرق من التحريك التي أقل مايقال فيها انها طرق صبيانية .

عنـدما كنت القي تقريري ، استلم الرئيس ، الرفيق كيوسينين ، رسـالة ذات دلالة من قاعة المؤتمر موجهة لي ، واليكم نصها :

« نرجو ان تتناول في خطابك في المؤتمر المسألة التالية ، وهي ان كافـــة المقررات والقرارات التي تتخذها الاممية الشيوعية في المستقبل يجب ان تكتب بحيث لايقتصر امكان فهم معناها على الشيوعيين المدربين فقط ، بل يستطيع كل عامل يقرأ وثائق الكومنترن من ان يرى رأساً دون سابق دربة ، ماذا يريد الشيوعيّون ، وماهي فائدة الشيوعية للجنس البشري . ان بعض القادة الحزبيين ينسون هذا ، فيجب تذكـــيرهم به . وتذكيرهم به بقوة وأية قوة . كما ان التحريك لصـالح الشيوعية ، يجب ان يجري بلغة مفهومة . »

لااعلم على وجه الدقة من هو كاتب هذه الرسالة ، ولكني لا اشك في ان هذا الرفيق يعبر في رسالته عن رأي ورغبة ملايين العمال . فكثير من رفاقنا يعتقدون انهم كلما اكثروا من استخدام الكلمات الطنانة الرنانة ، وكلما اسهبوا في استعمال الصيغ والموضوعات التي لاتفهمها الجماهير ، كان تحريكهم

ودعاياتهم احسن شأناً ناسين ان اعظم قادة الطبقة العـــاملة ونظرييها في عصرنا ، لينين وستالين ، قد تكلما وكتبا دائماً بلغة شعبية بسيطة للغاية تتمكن الجمـــاهير الغفيرة من فهمها بسرعة .

فعلى كل واحدٍ منا ان يجعل هـــذا ، قانوناً ، قانوناً بلشفياً ، قاعدة أولية .

عند الكتابة أو الخطابة ضع نصب عينيك دائمـــاً العامل الاعتيادي البسيط الذي يجب ان يفهمك ، ويجب ان يؤمن بدعوتك ويكون مستعداً لأن يتبعك ! يجب ان تضع نصب عينيك اولئك الذين تكتب لهم ، الذين تخطب فيهم .

« ج . ديمتروف : وحدة الطبقة العاملة ضد الفاشية » .

« انتهى »



نفدت طبعته الاولى في ايام

اربعة كتب في مجلد واحد

صدر اليوم



بغداد

تفخر بان تقدم للقارىء العربي

رائعة من روائع الادب العالمي

●

ارض ثمارها من ذهب

للكاتب البرازيلي الكبير

جورج أمادو

●

لوحات مستمدة من كفاح مزارعي الكاكاو

ضد الاقطاعيين والمستعمرين

باسلوب شعري مشرق

ترجمة

أحمد عربية